

# طُوبَىٰ

لِلْمُسْتَغْفِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1420 هـ

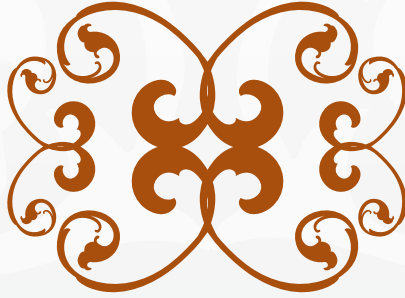
يا من عليه المتكل  
قد زاد ما بي من وجل  
لما اجترحت من زلل  
في عمري المضيع  
فاغفر لعبد مجتره  
وارحم بكاه المنسجم  
فأنت أولى من رحم  
وخير مدعو دعي

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : فإن المؤمن الراجي عفوره ورضاه، الطامع في رحمته وهداه، ليعلم علم اليقين أن بلوغ تلك الغايات لا يتأتى له إلا بأعمال صالحات طيبات يدلل بها على صدق نيته وحسن طويته، وبدون تلك الأعمال الصالحات يبقى الأمر مجرد أماني كاذبات باطلات . ومن رحمة مولانا بنا وإرادته الخير لنا أن أرسل إلينا رسولا كريما ما ترك شيئا يقربنا من الجنة إلا وأمرنا به ودلنا عليه، ولا شيئا يباعدنا عن النار إلا ونهانا عنه وحذرنا منه، ومن بين ما دلنا عليه رسولنا الكريم ليكون لنا زادا في طريقنا إلى الله . تعالى . عبادة عظيمة وقربة جلييلة لا عنت على أحد في الوصول إليها ولا مشقة على أحد في الإتيان بها وأدائها .. إنها **عبادة الاستغفار** . تلك العبادة التي لا غنى لأحد منا عنها حتى وإن كان لم يعمل سوءاً ولم يقترف إثما فإنه محتاج إليها أشد الاحتياج، ولا أدل على ذلك من حال خير من أقلت الأرض وأظلت السماء الذي غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك نراه مكثرا من الاستغفار مقبلا عليه مستأنسا به، حتى يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . في بيان ذلك: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم »<sup>١</sup> . بل كان الاستغفار من آخر ما تكلم به النبي ﷺ قبل أن يتوفاه الله . تعالى . مما يدل على شدة عنايته واهتمامه به؛ إرضاءً لله . تعالى . وتعلّيماً وتحفيزاً لأمته، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند إليها ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى»، وعند ابن ماجه، قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه ﷺ . فلئن كان المغفور

١ رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني .

له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يلازم الاستغفار كل هذه الملازمة حتى إنه لا يدعه في أشد اللحظات وأصعبها، فكيف بمن دونه ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.. أفلا يكونون أشد احتياجاً إليه وأكثر إقبالاً عليه مما هم فيه، بلى والله كلنا في حاجة إلى سلوك هذا السبيل طلباً لمرضاة غافر الذنب وقابل التوب القائل في محكم آياته: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظَلِّمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء، ١١٠) والقائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر، ٥٣) وفي الصفحات القادمة نعرض لعبادة الاستغفار بشيئ من التفصيل، سائلين الله تعالى مغفرة ذنوبنا، إن ربنا قريب مجيب.



## الاستغفار لغةً واصطلاحاً

### أولاً: في اللغة

يقول ابن منظور في لسان العرب: أصل الغفر التغطية والستر، يقال اللهم اغفر لنا مغفرة وغفراً وغفرانا، وإنك أنت الغفور يا أهل المغفرة. وغفر الله ذنوبه، أي: سترها. واستغفر الله من ذنبه ولذنبه بمعنى، فغفر له ذنبه مغفرة وغفرا وغفرانا، وقد غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا ستره، وكل شيء سترته فقد غَفَرْتَه، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد علي الرأس: مَغْفَرٌ، وتقول العرب: اصْبَغُ ثَوْبَكَ بالسَّوَادِ فهو أَغْفَرُ لَوَسَخِهِ، أي: أَحْمَلُ له وَأَغْطِي له. وفي حديث عمر لما حَصَّبَ المسجدَ (أي فرش أرضه بالحصباء، وهي الحجارة الصغيرة) قال: «هو أَغْفَرُ لِلنُّخَامَةِ». أي: أَسْتَرُ لها... الخ<sup>٢</sup>.

### ثانياً في الاصطلاح :

قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن: الغفر: إلباس ما يصونه عن الدنس، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥) سورة البقرة ، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٢) سورة آل عمران، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) سورة آل عمران . قال القرطبي في بيان معنى قوله - تعالى - : ﴿وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله<sup>٣</sup>.

٢ الصواب أن الذي أشار بحصب المسجد هو سفيان بن عبد الله الثقفي - رضي الله عنه - وهو أيضا القائل: هو أغفر للنخامة . الخ. فعن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر - رضي الله عنه - أراد أن لا يحصب المسجد فأشار عليه سفيان بن عبد الله الثقفي . قال: بلى يا أمير المؤمنين فإنه أغفر للنخامة وأوطأ للمجلس . فقال عمر: احصبوه . انظر مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٦٦).

٣ تفسير القرطبي (٤/ ٢١١) .

## الاستغفار الذي ينفعك الله به

إن الثمرة التي يجتنيها المستغفر من وراء استغفاره هي مغفرة ذنوبه وستر عيوبه، وهي ثمرة عظيمة لا مرأى في ذلك، ولكنّ ثمة سؤال يطرح نفسه: هل الأمر بهذه البساطة! أي بمجرد أن ينطق المرء بـ «أستغفر الله» يجتني الثمرة وهي المغفرة؟ أم أن ثمة جهداً آخر ينبغي أن يبذله المستغفر حتى يكون من المحظوظين بهذا الفضل العظيم الفائزين بثوابه؟ وللجواب عن هذا السؤال نقول: اعلم - رحمنا الله وإياك - أن الاستغفار الذي ترجو أن ينفعك الله به وتترقب عليه آثاره العظيمة يحتاج منك إلى أمر واحد ذي صلة وطيدة بإرادتك ألا وهو العزم على ترك الإصرار على ذلك الذنب الذي تستغفر الله منه، والإصرار هو التسوية وهو أن يقول صاحب الذنب المقيم عليه: سوف أتوب غداً!! وهذا دعوى نفس وأمنية كاذبة ومكر شيطاني خبيث بذلك المسكين، إذ كيف يتوب غداً، وغداً هذا هو لا يملكه؟! ولئن كانت الذنوب تتفاوت فيما بينها في قدر الضرر الذي تلحقه بالنفوس، فإن ذنب الإصرار يتفوق على غيره بأنه الهلاك المحقق لمن اتصف به وداوم عليه ولم يقو على تكسيه وهدمه بمعاول الطاعات والقربات، يقول سهل بن عبد الله: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك. ٤ هـ.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، ١٣٥) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : أي تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على العصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه ٥ هـ. ويقول ابن جرير الطبري - رحمه الله - : لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها، وهم يعلمون أنّ

٤ المرجع السابق .

٥ تفسير القرآن العظيم (١/٥٠١) .

الله قد تقدم بالنهي عنها، وأوعد عليها العقوبة من ركبها اه<sup>٦</sup>. ويقول صاحب الظلال - رحمه الله -: والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها. ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهون إليها من رحمة الله . ولا تجعلهم في ذيل القافلة...قافلة المؤمنين... إنما ترتفع بهم إلى أعلى مرتبة... مرتبة (المتقين)... على شرط واحد. شرط يكشف عن طبيعة هذا الدين ووجهته... أن يذكروا الله فيستغفروا لذنوبهم، وألا يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أنه الخطيئة، وألا يتبجحوا بالمعصية في غير تحرج ولا حياء... وبعبارة أخرى أن يكونوا في إطار العبودية لله والاستسلام له في النهاية<sup>٧</sup>.

قال القرطبي - رحمه الله -: قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يُجَلَّ عَقْدَ الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مصرّ على معصيته، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. قلت (القرطبي): هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مُكِبّاً على الظلم حريصاً عليه لا يُقْلَع، والسُّبْحَةَ في يده زاعماً أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف؟! اه<sup>٨</sup>. ونريد أن نذكّر هنا بأن الحسن البصري الذي ينعي على أهل زمانه بأن استغفارهم يحتاج إلى استغفار ولد قبل وفاة عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني بعامين، وعاصر الكثير من الصحابة، بل كان له شرف الرضاع من أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ، وأما القرطبي - رحمه الله - الذي ينعت استغفار المقيمين على الذنب من أهل زمانه بأن استغفارهم محض استهزاء واستخفاف كانت وفاته في العام ٦٧١ من الهجرة أي من قبل سبعمائة عام تقريباً، أي إن وفاة كل منهما كانت أقدم بكثير من ظهور

٦ جامع البيان (٢١٩/٧).

٧ في ظلال القرآن (٤٧٦/١).

٨ تفسير القرطبي (٢١٠/٤).



البنوك الربوية والقنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية وغير ذلك من المدخلات الحديثة التي أشاعت أجواء من المفاسد والفتن يعز معها أن يسلم للمرء دينه، أو تستقيم له دنياه إلا من رحم ربنا جل في علاه، فلا أدري ماذا نسمي استغفار بعض المستغفرين في هذه الآونة والمعاصي تطاردهم ويطاردونها ليلا ونهارا سرا وجهارا!!!!!! نسأل الله لنا ولهم العافية.



## اعمل ما شئت

ذكر أهل العلم أن القائل: «استغفر الله وأتوب إليه» له حالتان:

**الحالة الأولى:** أن يقول ذلك وهو مصرُّ بقلبه على الذنب، فأما قوله: «استغفر الله» فلا يعدو أن يكون دعاءً منه لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، وهذا طلبٌ من الله المغفرة ودعاءً بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء لله، ويُرجى له الإجابة. وأما قوله: (وأتوب إليه) فهو كاذب فيه؛ لأنه غير تائب حقيقة، لما علم أن من شروط قبول التوبة العزم من العبد على عدم العودة إلى الذنب، فهو بإصراره يكون مخالفاً بواحد من أهم شروطها وهو الإصرار على مقارفة الذنب وعدم العزم على تركه والإقلاع عنه.

**والحالة الثانية:** أن يقول ذلك وهو مقلعٌ بقلبه وعزمه ونيته عن المعصية، فإن صح منه العزم على ذلك قُبِلت توبته، فإن عاد إلى الذنب مرة ثانية احتاج إلى توبة أخرى ليغفر له ذنبه، ولهذا فإن العبد ما دام كذلك كلما أذنب استغفر وتاب توبة نصوحاً متكاملة الشروط واللوازم، فهو حريٌّ بالمغفرة وإن تكرر الذنب منه مراراً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه - عز وجل - قال: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد، فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب واعمل ما شئت فقد غفرت لك». قال عبد الأعلى: لا أدرى أقال في الثالثة أو الرابعة «اعمل ما شئت» أي: ما دمت تائباً وأوَّاهاً منيباً، فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب، فإنه كلما كرَّر العبد التوبة مستوفياً شروطها قُبِلت منه، وأما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرة؛ بل هو سبب من الأسباب التي تُرَجى بها المغفرة، كما سبق الإشارة إليه، وفي ضوء هذا التوضيح ينبغي أن تفهم سائر النصوص الواردة في هذا الشأن، والله أعلم.



## الذنوب سبب الضر والاستغفار يزيله

إن مطالعة سريعة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الراسخين في العلم لتهدينا إلى حقيقة لا مجال لردّها أو الإعراض عنها، وهي: أن المصائب والعقوبات الإلهية التي تصيب بني آدم إنما تكون بسبب ما تقتربه أيديهم وتكسبه نفوسهم وقلوبهم من ذنوب ومعاصي جزاء وفاقا، وفي هذا يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١) سورة آل عمران، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٦) سورة الأنعام، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَآخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦) سورة الأعراف، أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبتناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم<sup>١</sup>، وقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَي قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠) سورة الأعراف. وقال عز وجل: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥٢) سورة الأنفال، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٥٤) سورة الأنفال. وفي سورة العنكبوت يحدثنا الله - تعالى - عن نبأ قوم نوح وإبراهيم ولوط وممدين وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان من الذين كذبوا الرسل وأذوهم وكفروا بهم فما كان إلا أن سلط الله عليهم العذاب بسبب تلك الذنوب. قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠) سورة العنكبوت، وقال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ



قَبَلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ سورة غافر، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) سورة الشورى. وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جَوْعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ ..»<sup>١١</sup> وقوله: «فِي هَرَّةٍ» أي بسببها، وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ»<sup>١٢</sup>. ومما ينسب إلى العباس بن عبد المطلب، أو علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قول: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «والذنوب سبب للضرر والاستغفار يزيل أسبابه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فأخبر أنه سبحانه لا يعذب مستغفرا»<sup>١٣</sup>. وقال: «إن العذاب إنما يكون على الذنوب والاستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رِبْكَمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يَمْتَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ فبين سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك تمتعوا متاعا حسنا إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل»<sup>١٤</sup>. وقال رحمه الله : والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع ، فمن أحسَّ بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تَقَلُّبِ قَلْبٍ ، فعليه بالتوحيد والاستغفار ، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص وكذلك إذا وجد العبد تقصيرا في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم والاستغفار، قال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - للنبي ﷺ: «إن لي لساناً ذرياً على أهلي. فقال له : أين أنت من الاستغفار ؟ إنني لأستغفر الله في اليوم أكثر من

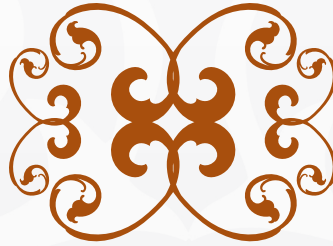
١١ متفق عليه .

١٢ رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

١٣ الفتاوى الكبرى (٢٣١/٥) .

١٤ مجموع الفتاوى (٤١/١٥) .

سبعين مرة<sup>١٥</sup>. ولنا في قصة قوم يونس - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - أحسن عبرة وعظة، حيث إنهم امتنعوا من الإيمان برسالته ولم يذعنوا إلى ما جاءهم به من عند ربه، فكان هذا الذنب مؤذنا بحلول العقوبة بهم، فوعدهم ثلاثة أيام ثم يحل العذاب بهم، فأمنوا وتابوا قبل تلك المهلة، فنضعهم الله - تعالى - بذلك، وكشف عنهم العذاب، وفي ذلك نقرأ قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨) سورة يونس، يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى وما كان إيمانهم إلا تخوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله، واستغاثوا به، وتضرعوا له، واستكانوا، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله - تعالى - أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا<sup>١٦</sup>.



١٥ مجموع الفتاوى (٦٩٨/١١) .

١٦ تفسير القرآن العظيم (٥٢٦، ٥٢٧) .

## أهمية الاستغفار وشدة حاجتنا إليه

اعلم - يا رعاك الله - أن حاجتنا إلى التوبة والاستغفار هي أضعاف أضعاف حاجتنا إلى الطعام والشراب والتنفس وما إلى ذلك من ملاذ الدنيا ومتاعها، فإن ملاذ الدنيا لا تعدو أن تكون بلغة تتبلغ بها النفس حاجة ما إلى أجل مسمى، ولربما لم تبلغها ما ترجو وما تتمنى، بل ربما عادت عليها بعادة الضر والسوء وأعقبها من بعد لذة سريعة وشهوة عاجلة حسرة طويلة وكآبة مستمرة، وهذا أمر يدركه كل عاقل ليس في حاجة إلى تمثيل ولا تدليل، أما التوبة والاستغفار فإنهما يبلغان بالإنسان مالا قدرة له عليه مع مسيس حاجته إليه وهو مرضاة الله - تعالى - وجنته، فضلا عن فوائده العديدة التي تحيط به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض تعداده لبعض تلك الفوائد: الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علماً بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوايب والمشاهد لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية<sup>١٧</sup>. ومن هنا جاءت التوجيهات النبوية الكريمة منبهة على تلك الحاجة داعية إلى لزوم جانب التوبة والاستغفار، فهذا رسول الله وهو من غفر الله له ذنبه إلا أنه مع ذلك لا ينفك عن ملازمة التوبة والاستغفار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»<sup>١٨</sup>. وفي مناقشة هادئة يثبت ابن

١٧ مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٢).

١٨ رواه البخاري .



القيم - رحمه الله - مدى حاجة العبد للتوبة والاستغفار، يقول مخاطباً ابن الماء والطين على سبيل الافتراض: «انصب أعمالك وأحوالك إلى عظيم جلال الله وما يستحقه، وما هو له أهل، فإن رأيتها وافية بذلك مكافأة له فلا حاجة حينئذ إلى التوبة، وإذا رأيت أن أضعاف أضعاف ما قمت به من صدق، وإخلاص، وإنابة، وتوكل، وزهد، وعبادة: لا يفي بأيسر حق له عليك، ولا يكافئ نعمة من نعمه عندك، وأن ما يستحقه لجلاله وعظمته أعظم وأجل وأكبر مما يقوم به الخلق: رأيت ضرورة التوبة، وأنها نهاية كل عارف وغاية كل سالك، وإذا لم يكن للقيام بحقيقة العبودية سبيل، فعلى التوبة المعول<sup>١٩</sup>...

ثم نراه يبين أن حاجتنا إلى التوبة من جهة أخرى ضرورة لا غنى لنا عنها لسلامة حالتنا النفسية إذ بها تتبدد ظلمات اليأس الحالكة لنبصر الطريق إلى الله - عز وجل - المزدان بالرجاء وحسن الظن به سبحانه، وفي هذا يقول - رحمه الله - : « ولولا تتسم روح التوبة لحال اليأس بين ابن الماء والطين وبين الوصول إلى رب العالمين، هذا لو قام بما ينبغي عليه من حقوق لربه، فكيف والغفلة والتقصير والتفريط والتهاون وإيثار حظوظه في كثير من الأوقات على حقوق ربه لا يكاد يتخلص منها؟<sup>٢٠</sup> .



١٩ مدارج السالكين (٤٣٤/٣) .

٢٠ مدارج السالكين (٤٤١/٣) .



## من فوائد الاستغفار

للاستغفار فوائد عديدة يستشعرها المستغفر في خاصة نفسه وفيمن حوله، وإليك - أيها القارئ الكريم - بعضاً من هذه الفوائد والفضائل التي يتحصل عليها المستغفرون بملازمتهم لتلك العبادة العظيمة :

● **مغفرة الذنوب**: قال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ (١١٠) سورة النساء، وقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ (١٠) سورة نوح، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»<sup>٢١</sup>. وعن بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جده: أنه سمع النبي ﷺ يقول: « من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف»<sup>٢٢</sup>.

● **دخول الجنة**: فقد دعا نوح قومه إلى هذه العبادة الجليلة وحفزهم إلى لزوم بابها، وقدم لهم وعوداً لا تتخلف عن لزم الاستغفار صدقاً و يقيناً وكان من بين تلك الوعود ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (١٢) سورة نوح، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . » قَالَ: « مَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »<sup>٢٣</sup>.

٢١ رواه مسلم، من حديث أبي ذر، رضي الله عنه .

٢٢ رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وصححه الألباني.

٢٣ رواه البخاري





● **أمان من العذاب:** قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣) سورة الأنفال. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - كان فيهم أمانان: النبي ﷺ والاستغفار فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار<sup>٢٤</sup>. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حكمة حيولة الاستغفار بين العذاب والمستغفرين: أخبر أنه لا يعذب مستغفراً؛ لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>٢٥، ٢٦</sup>

● **نزول الأمطار، والمدد بالأموال والبنين<sup>٢٧</sup>، والزيادة في القوة:** قال - تعالى - حكاية عن نوح ودعوته قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَكُمْ﴾ (١٢٠٩) سورة نوح. وقال سبحانه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٥٢) سورة هود، يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما

٢٤ تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧٢) .

٢٥ سند هذا الحديث فيه رجل مجهول، ولأجله ضعفه الألباني - رحمه الله - في غير موضع من كتبه .

٢٦ مجموع الفتاوى (٨/١٦٣) .

٢٧ لا يخامرني أدنى شك في أن للاستغفار أثراً أكيدا في إنعام الله - تعالى - على العبد بنعم كثيرة ومن بينها نعمة الإنجاب، وقد قرأت قصصا عديدة لأناس كانوا قد أيقنوا من عمهم ووطنوا أنفسهم على ذلك، ولما لازموا الاستغفار - تلك العبادة الجليلة - أنعم الله عليهم بالذرية، ولن أذهب بعيدا فقد عاينت ذلك بنفسى ورأيت رأي العين، لم يروه لي أحد، وذلك أن قريبا لي تزوج ومرت عليه فترة ولم تحمل زوجته، وفي محادثة هاتمية بيني وبينه أخبرني بالحال، فقلت له: استغفر الله - فدهش لأول وهلة ظنا منه أنني أمره بالاستغفار من ذنب فعله، فبينت له مقصودي وهو أن من فوائد الاستغفار أن يمد الله العبد بالذرية، وذكرت له قول الله - تعالى - في سورة نوح ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَكُمْ﴾ وما هو إلا شهر أو يزيد قليلا ووجدته يخبرني بأن امرأته قد حملت ولله الحمد، وأنا أقدم هذه القصة هنا لكل من حرم الذرية أن يترك هذا الباب - باب الاستغفار - لعل الله - تعالى - يرى منه إقبالا وإخلاصا فينعم عليه بما يتمنى، ولئن تأخر عليه فرح الله ورحمته فلن يندم على ملازمة الاستغفار ؛ لأنه ليست هذه وحدها هي فضيلة وفائدة الاستغفار بل له العديد من الفوائد والفضائل، كما ذكرنا - وهو لا محالة بملازمته للاستغفار أخذ من فوائده وفضائله بحظ وافر (المؤلف) .



يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وفي الحديث «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>٢٨</sup>.

● سبب للمتاع الحسن في الدنيا والفضل في الآخرة : قال - تعالى :- ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَمَ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ...﴾<sup>(٣)</sup>.

● كفارة لما يقع في المجالس من لفظ ونحوه : فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك . فقال رجل: يا رسول الله! إنك لتقول قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى! فقال: كفارة لما يكون في المجلس»<sup>٣٠</sup>.

● إزالة الهم والغم: يقول ابن القيم - رحمه الله - : وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق، فلما اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أمة: أن المعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم ارتكبوها دفعا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم كما قال شيخ الفسوق:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار<sup>٣١</sup>.

٢٨ تقدم الكلام على علة في سنده قريبا .

٢٩ تفسير القرآن العظيم (٢/٥٤٧) .

٣٠ رواه أبو داود وغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

٣١ زاد المعاد (٤/١٨٥) .

● **سبب نزول الرحمة :** قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) سورة النمل.

● **صقل القلب وتنظيفه من الذنوب:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٣٢ .

● **الافتداء برسول الله ﷺ سيد المستغفرين وأحسن التائبين المتيبين، وستأتي الآثار الدالة على ذلك عما قريب، إن شاء الله.**



## من استغفار النبيين عليهم الصلاة والسلام

أنبياء الله ورسله هم صفوة الله من خلقه، الذين ارتضاهم الله - تعالى - لحمل رسالاته ودعوة الناس إليها، وهذه أحسن وظيفة وأجل مهمة على الإطلاق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢) سورة فصلت، ومن ثم كان أهلها هم الصفوة المختارة، والنخبة المنتقاة - صلى الله وسلم وبارك عليهم أجمعين - ورغم هذه المنزلة العظيمة التي تبوؤوها إلا أننا نجدهم أحرص الناس على ملازمة عبادة الاستغفار والاستمسك بها، وفي غير موضع من كتاب الله - تعالى - نجد هذا المعنى حاضرا .

وأول ما نلقاه من ذلك استغفار أبوي البشر آدم وحواء وذلك في قوله - تعالى - : ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) سورة الأعراف .

وهذا نبي الله نوح - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لما سأل الله - تعالى - سؤال استعلام وكشف عن حال ولده الذي غرق ﴿فقال رب إن ابني من أهلي﴾ أي وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي الذين وعدت إنجاءهم؛ لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام، ثم قال له الله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيَّرٌ صَالِحٌ فَلَا تَسْأَلَنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦) سورة هود، عندها أسرع نوح ذلك النبي الكريم إلى ربه مستغفراً منيباً ﴿قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ (٤٧) سورة هود. وفي موضع آخر من كتاب الله - تعالى - وفي السورة المسماة باسمه - عليه السلام - نراه ويعد أن أمر قومه بالاستغفار وبين لهم جملة عظيمة من الفوائد التي تعود عليهم من وراء لزوم جناب هذه الطاعة والعبادة الجليلة - نرى السورة الكريمة تختتم بهذا الدعاء الخاشع الودود ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

(٢٨) سورة نوح، وهنا يعلق صاحب الظلال بقوله: ودعاء نوح النبي لربه أن يغفر له .. هو الأدب النبوي الكريم في حضرة الله العلي العظيم.. أدب العبد في حضرة الرب . العبد الذي لا ينسى أنه بشر ، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطع ويعبد، وأنه لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله بفضله<sup>٣٣</sup>، كما قال أخوه النبي الكريم محمد ﷺ وهذا هو الاستغفار الذي دعا قومه العصاة الخاطئين إليه، فاستكبروا عليه<sup>٣٤</sup>.

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي قال عنه ربه تزكية له وإجلالا: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة النحل، وامتدحه بثلاث مدحات كريمات وذلك في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمًا أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥) سورة هود، والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأني ولا يثور. والأواه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى. والمنيب الذي يعود سريعاً إلى ربه. وهو مع ذلك يلازم الاستغفار ويأنس به ويطمع فيه. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) سورة إبراهيم، وقال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) سورة الشعراء.

وهذا نبي الله موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي شرفه الله - تعالى - بشرف تكليمه، وأيده بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، نراه مع كل هذه الحظوة له عند ربه ومولاه لا يستتكف أن يقر بما كان منه ويسأل الله المغفرة . قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦). ولما كان من قومه ما كان من ارتداد على أعقابهم واتخاذهم العجل إلها من دون الله انسياقا وراء خداع السامري ودجله وضلاله، وعلى إثر ذلك خرج موسى ومعه سبعون من قومه لميقات الله - تعالى - رجاء عفو

٣٣ إشارة إلى ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحداً عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمة....»

٣٤ في ظلال القرآن (٣٥١/٧) .

وصفحه بسبب فعلة السفهاء من قومهم، فلما أخذتهم الرجفة جأر إلى الله بالاستغفار، كما في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (سورة الأعراف .

وهذا عبد الله ونبيه داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي جمع الله له بين الحكم والنبوة وورثهما ابنه سليمان كرامة من الله - تعالى - لهذا البيت الكريم وتشريفًا، ورغم ما هو في من الكرامة العظيمة والمنزلة الفخيمة نراه يستغفر ربه وينيب إليه، كما ذكر الله - تعالى - في قوله سبحانه : ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ (٢٤ ، ٢٥) سورة ص . وقال سبحانه عن نبيه سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥) سورة ص .



## من صيغ استغفار النبي، صلى الله عليه وسلم

ختم الله - تعالى - الرسالات بالإسلام، وختم النبوات بنبوة محمد ﷺ وخصه - سبحانه - بأمر لم يشركه فيها أحد، فهو سيد ولد آدم وحامل لواء الشفاعة، وصاحب الحوض والمقام المحمود، وهو أول من يحرك حلق الجنة، وفي الحديث: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»<sup>٢٥</sup>. ومع ما له - صلوات ربي وتسليماته عليه - من فضائل ومناقب ليست لغيره من بني آدم إلا أن الله - تعالى - أمره بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين في غير موضع من كتابه العزيز، ومن ذلك قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء، وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة النور، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (سورة غافر، وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَاكُمُ﴾ (سورة محمد، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهَاتٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ

٢٥ متفق عليه، وقوله: (نصرت بالرعب) هو الخوف يقذف في قلوب أعدائي . وقوله: (مسيرة شهر) أي بيني وبينه مسيرة شهر . (والمغانم) جمع مغنم وهو الغنيمة وهو كل ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهرا .

وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبِإِعْمَهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ سورة الممتحنة.  
وقوله جل وعلا: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣) سورة النصر، وقد لقيت هذه التوجيهات القرآنية الكريمة التي تتضمن أمر النبي ﷺ بالاستغفار لقيت استجابة عاجلة وتحقيقاً فورياً، فمضى حبيبنا ﷺ في هذه العبادة حتى لقي ربه، وإليك - أيها القارئ الكريم - جملة من الأحاديث المثبتة لذلك الدالة عليه:

● عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه.  
قالت عائشة: يا رسول الله أنصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً؟»<sup>٣٦</sup>.

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>٣٧</sup>.

● وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ الْمَزْنِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لِيُعَانُ<sup>٣٨</sup> عَلَيَّ قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»<sup>٣٩</sup>.

هذا وقد تنوعت صيغ الاستغفار المأثورة عن رسول الله ﷺ تيسيراً على الناس لكي يأخذ كل واحد منها بما استطاع.

● فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»<sup>٤٠</sup>.

٣٦ متفق عليه .

٣٧ رواه البخاري .

٣٨ قوله ﷺ: «إنه ليغان علي قلبي» . قال ابن الأثير في معنى الغين: أراد ما يَغشاه من السَّهْو الذي لا يَجْلُو منه البَشَرُ لَأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ . تَعَالَى . فَإِنَّ عَرَضَ لَهُ . وَقَتًا مَّا . عَارِضٌ بَشَرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَالْمَلَّةِ وَمَصَالِحِهَا . عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا فَيَمْدُدُ إِلَى الْأَسْتِغْفَارِ . هـ . (النهاية في غريب الأثر: ٣ / ٧٥٩) .

٣٩ رواه مسلم .

٤٠ رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني .



● وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «عَلَّمَنِي دُعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>٤١</sup>.

● وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُوَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>٤٢</sup>.

● وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبَوَاءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبَوَاءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مَوْقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْبَحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>٤٣</sup>.

● وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

٤١ متفق عليه .

٤٢ رواد البخاري .

٤٣ رواد البخاري .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ . ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي . فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ . لَيْتَكَ وَسَعَدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» . وَإِذَا رَكَعَ قَالَ « اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمَخِي وَعَظْمِي وَعَصْبِي . وَإِذَا رَفَعَ قَالَ « اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» . وَإِذَا سَجَدَ قَالَ « اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلذِّي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» . ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّسْلِيمِ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» .<sup>٤٤</sup>

● وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» .<sup>٤٥</sup>

وقد كافأ الله - تعالى - رسوله إمام المستغفرين المخبتين المنيبين أعظم مكافأة، ومنحه أجل منحة وهي مغفرة ذنوبه المتقدمة والمتأخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١)(٢) سورة الفتح، فضلى الله عليه في الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين .

٤٤ رواه مسلم .

٤٥ متفق عليه .

## استغفار المؤمنين

كلما زادت معرفة العبد بالله كلما ازداد له حبا ومنه خشية، وكلما قلت تلك المعرفة وحل الجهل كلما كان ذلك العبد أقل خشية من الله ، وأكثر عنه بعدا. إن الجهل هو السمة المميزة للمجترئين على معصية الله . عز وجل . المتحممين محارمه، سبحانه؛ لأنهم لو عرفوا ربهم معرفة صحيحة لأحبوه وعظموه وأطاعوا أمره، وعلّموا أنه . سبحانه وتعالى . أهل لأن يُتقى، ولو تعلموا دينهم وشرعهم لوجدوا بغيتهم وسعادتهم فيه، ولو علموا ثواب الله . عز وجل . وعقابه لرغبوا في الثواب وخافوا من العقاب. وقد قرن النبي ﷺ بين رفع العلم وثبوت الجهل وظهور المعاصي في آخر الزمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا**»<sup>٤٦</sup> وقال ابن القيم . رحمه الله .: إن النفوس الجاهلة التي لا علم عندها قد ألبست ثوب الذل والإزاء عليها والتقص بها أسرع منه إلى غيرها .أ.هـ. أما النفوس المؤمنة فإنها لما حباهم الله . تعالى . به من العلم النافع فإنهم يعبدون الله . تعالى . طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه مع امتلاء قلوبهم محبة له وإجلالا، وهذا الحال يحملهم على المداومة على الاستغفار الذي يجلو صحائفهم من الذنوب، ما علموا منها وما لم يعلموا، وفي كتاب الله آيات عديدة تصف حال المؤمنين وكيف أنهم ملازمون لهذه العبادة مداومون عليها، رغم ما هم عليه من إيمان عميق وأعمال صالحات، ومن ذلك قوله . سبحانه .: ﴿**أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة البقرة، وقوله جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ (١٦) سورة آل عمران، وقوله: ﴿**رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾ (١٩٢) سورة آل عمران. وقوله: ﴿**وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن**

لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ سورة الأعراف، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٠٩) سورة المؤمنون، والملائكة المقربون يستغفرون للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) سورة غافر، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) سورة الشورى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه تقول: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه»<sup>٤٧</sup>، وكذا النبيون المطهرون يستغفرون لأنفسهم وللمؤمنين. قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) سورة إبراهيم، وقال جل وعلا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢٨) سورة نوح.

ولقد دأب الصالحون على الوصاية بالاستغفار ولزوم جانبه؛ لما يعلمون من فضله وفضله أهله<sup>٤٨</sup>، ويروى عن لقمان - عليه السلام - أنه قال لابنه: يا بني، عود لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً. وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرعون متى تنزل المغفرة. وقال أبو المنهال: ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير. وعن قتادة قال: إن هذا القرآن يدلكم على داتكم ودوائكم فأما دوائكم فالدنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار. وقال بعضهم: إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار فمن أهمته دنوبه أكثر لها من الاستغفار. وقال رباح القيسي: لي نيف وأربعون ذنباً قد استغفرت الله لكل ذنب

٤٧ متفق عليه .

٤٨ انظر (جامع العلوم والحكم: ١/٢٩٤ وما بعدها) .

مائة ألف مرة . ومن زاد اهتمامه بذنوبه فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه فالتمس منهم الاستغفار، وكان عمر رضي الله عنه يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: إنكم لم تذنّبوا . وكان أبوهريرة رضي الله عنه يقول لغلمان الكتاب: قولوا اللهم اغفر لأبي هريرة فيؤمن على دعائهم . قال بكر المزني: لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي، لكان نوله أن يفعل أي: ينبغي له أن يفعل ذلك . وعن عبد الله بن بسر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»<sup>٤٩</sup> .



## الاستغفار هدية من الله لعباده المؤمنين

إن التوفيق إلى الاستغفار ومن ثم قبوله لهو من المنن الجليلة والهبات الجميلة التي يختص بها الله - تعالى - من شاء من عباده، وليس العبرة بكثرة قول القائل «أستغفر الله» وإنما العبرة بقبول ذلك منه أو رده عليه، ومن ثم فإن على من رجا أن يكون من المستغفرين حقا المؤمنين صدقاً أن يُري الله من نفسه خيراً بأن يدأب على طاعته، ويثابر على الإيمان به وخشيته، عندئذ يكون قمنا إذا قال: «أستغفر الله» أن يغفر له. قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩) سورة المائدة، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٥٠) سورة الحج، وقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) سورة فاطر، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) سورة الملك، والآيات في هذا كثيرة، وكذا الأحاديث. فعلى مرید قبول استغفاره أن يقبل على الله - تعالى - بكليته، مستحضراً عظمة وجلال من يتوجه إليه ويقبل عليه، فإذا ما تحرك لسانه بالاستغفار وسرت قشعريرة حب الله والتعلق به في أنحاء بدنه وخفق القلب إيماناً و يقينا، ووجد بينه وبين الذنب وحشة وتمنى أن لو لم يكن منه ما كان، فعليه والحالة هذه أن يشكر الله كثيرا أن هداه إلى هذا العمل وأقامه على تلك الوظيفة في الوقت الذي لم ينعم غيره بمثل ما نعم هو به؛ لكون الهداية للاستغفار وعدم ذلك إنما يتم بمشيئة الله وتوفيقه فمن شاء هداه إلى الاستغفار ووفقه إليه وأعانه عليه، فاستغفر فغفر له، ومن شاء لم يوفقه إلى ذلك فيفعل الذنب ولا يستغفر، أو يستغفر استغفاراً يحتاج إلى استغفار، نسأل الله العافية ونعوذ به من الخذلان، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيُّ كَلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤) سورة البقرة. وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) سورة المائدة، وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيُّ كَلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠) سورة المائدة. نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من المستغفرين، وأن يغفر لنا إنه هو الغفور الرحيم.

## أوقات الاستغفار

الاستغفار مشروع في كل وقت، مندوب إليه في كل حين، ولكنه يجب عند فعل الذنوب، ويستحب بعد الأعمال الصالحة حتى ترفع إلى الله وهي أحسن وأوفر وأتم ما يكون، فإن العبد لو اجتهد مهما اجتهد لا يستطيع أن يقوم لله بالحق الذي أوجبه عليه فما يسعه إلا الاستغفار والتوبة عقيب كل طاعة، ومن ذلك :

● **الاستغفار أثناء الصلاة وبعدها**؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي». يتأول القرآن ٥٠. وعن حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدين: «رب اغفر لي. رب اغفر لي»<sup>٥١</sup>. وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَعْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ<sup>٥٢</sup>.

● **الاستغفار بعد قضاء مناسك الحج**؛ قال الله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة، ١٩٩) قال الحافظ ابن كثير معقباً: كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات.

● **ويستحب وقت السحر، وفي الثلث الأخير من الليل**؛ لأن الله - تعالى - أثنى على المستغفرين في الأسحار، فقال سبحانه: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (سورة آل عمران، ١٧) وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ

٥٠ متفق عليه، وقولها (يتأول القرآن) أي: يفعل ما أمر به بمثل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (سورة النضر).

٥١ رواه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني .

٥٢ رواه الترمذي وغيره، وقال هذا حديث حسن صحيح.





● **وعند الصباح والمساء:** فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»<sup>٥٧</sup>.

● **عند الجذب والعقم:** قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢.٩) سورة نوح. وقال سبحانه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ (٥٢) سورة هود. قال القرطبي - رحمه الله -: في هاتين الآيتين دليل على أن الاستغفار يُستنزَل به الرزق والأمطار. قال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟

قال: لقد طلبت المطر بمجاديح<sup>٥٨</sup> السماء التي يستنزَل بها المطر<sup>٥٩</sup>: ثم قرأ ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً﴾. وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾<sup>٦٠</sup> النبوية: ٩١. وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لملئنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم، فسقوا. وقال ابن صبيح: شكا

٥٧ رواه البخاري .

٥٨ قال ابن الأثير: المجاديح: واحدها مجدح: نجم من النجوم. قيل: هو الدبران. وقيل: هو ثلاثة كواكب كالآثافي تشبهها بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولا بالأنواء. وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر. (النهاية في غريب الأثر: ١ / ٧٠٠).

٥٩ رواه عبد الرزاق وابن أبي شعبة في مصنفيهما في الاستسقاء، والطبراني في كتاب الدعاء له، والبيهقي في سننه والطبري والثعلبي في تفسيريهما: كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي أن عمر خرج يستسقي إلى آخره، وكذلك رواه الواحدي في تفسيره الوسيط. قال النووي في الخلاصة: إسناده صحيح لكنه مرسل فإن الشعبي لم يدرك عمر انتهى، وانظر (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: ٤ / ٩٣).

رجل إلي الحسن الجدوية، فقال له: **استغفر الله**. وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: **استغفر الله**. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً، فقال له: **استغفر الله**. وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: **استغفر الله**. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئاً؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾<sup>٦٠</sup>.

● **عند الانصراف من المجلس**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك - إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك"<sup>٦١</sup>.

● **عند العلم بوفاة مسلم، وعند الفراغ من دفنه**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى لنا رسول الله ﷺ صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه، فقال: "استغفروا لأخيك"<sup>٦٢</sup>. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»<sup>٦٣</sup>.

● **عند الخروج من الخلاء**: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غُفْرَانِكَ»<sup>٦٤</sup>.

٦٠ تفسير القرطبي (٣٠٢/١٨).

٦١ رواه الترمذي وصححه.

٦٢ متفق عليه.

٦٣ رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني.

٦٤ رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني.

## سيد الاستغفار

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوؤُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ». قَالَ: « مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »<sup>٦٥</sup>.

تقدم معنا . أخي القارئ الكريم . العديد من الصيغ الثابتة عن النبي ﷺ في الاستغفار، إلا أن الصيغة التي معنا الآن لها ميزة خاصة، وهي إطلاق رسول الله ﷺ عليها اسم « سيد الاستغفار »، وفي سبب هذه التسمية يقول الطيبي . رحمه الله .: لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور<sup>٦٦</sup> . انتهى . وقال ابن أبي جمرة : جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني، وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمى به سيد الاستغفار . ففيه : الإقرار لله وحده بالألوهية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذ عليه، والرجاء بما وعد به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدتها وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله<sup>٦٧</sup> . انتهى . وهو يبدأ بإقرار وتعهد، فالإقرار هو إقرار العبد الذي شرفه الله . تعالى . بجريان هذا الذكر على لسانه بربوبية الله . تعالى . وأنه ما من نعمة من خلق ورزق ونحوهما إلا والله . تعالى . هو واهبها والمتفضل بها، ولما كان مكافئ النعم هو شكرها فقد جاء هذا التعهد بالإقامة على ما عاهد العبد عليه ربه من الإيمان به والإخلاص له في عبادته، واليقين بوعده القاضي بأن من أطاع أثيب وجزي خيرا، ومن المعلوم بل والمجزم به قطعاً

٦٥ رواه البخاري، وقد تقدم .

٦٦ تحفة الأحوذى (٩/٢٣٧، ٢٣٨) .

٦٧ تطريز رياض الصالحين (٢٥/٣) .

ويقينا أن العبد مهما أدى من طاعات وقربات فإن طاعاته وقرباته لا تكافئ مثقال ذرة من نعم الله عليه ولا أقل منها، كما أن هذه القربات مهما بلغت فإنها لا تجدي له نفعاً إلا أن يتغمده الله برحمته، وذلك مصداق قوله ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، سدوداً وقاربوا واغدوا وروحوا وشئ من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»<sup>٦٨</sup>، ولأجل ذلك جاء قوله: «ما استطعت» فاشتراط الاستطاعة اعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب في حقه - تعالى - أي لا أقدر أن أعبدك حق عبادتك، ولكن أجتهد بقدر طاقتي، ثم نبه على مقامين متلازمين، مقام الاعتراف بنعم الله السابغة، ومنه وعطاياه البالغة (أَبُوؤ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) ، ومقام إظهار العجز بالاعتراف بالذنب والقصور في الوفاء بحق تلك النعم (وَأَبُوؤ بِذَنْبِي، فَأَغْفِرْ لِي) إذ لا سبيل إلى جبر هذا الحال المتردد بين نعم من الله وبين عبد يقابل تلك النعم بالذنوب إلا بالتوبة والاستغفار، يقول ابن تيمية - رحمه الله -: فالعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر وذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد ﷺ يستغفر في جميع الأحوال<sup>٦٩</sup>. انتهى.



٦٨ متفق عليه من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه . وقوله: (يتغمدني) يغمرني ويسترني، و (فسدوداً) اطلبوا السداد وهو الصواب بفعل القربات دون غلو ولا تقصير، و (قاربوا) الكمال في الاستقامة إن لم تصلوا إليه، و (اغدوا) من الغدو وهو السير أول النهار . و (روحوا) من الرواح وهو السير في النصف الثاني من النهار . و (الدلجة) السير آخر الليل . و (القصد) الزموا الوسط المعتدل في الأمور . (تبلغوا) مقصداً وبغيتكم .

٦٩ مجموع الفتاوى (١٠/٨٨) .

## من شابه أباه فما ظلم

أول من استغفر الله - تعالى - وأتاب إليه وتاب هو آدم وحواء - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - وذلك لما عصيا الله - تعالى - وأكلا من الشجرة، قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّيَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٩ - ٢٣) سورة الأعراف ، فكان عاقبة اعترافهما بظلم النفس والاستغفار أن غفر الله لهما وتاب عليهما، وفي المقابل فإن أول من عصى ربه وأصر على معصيته وأبى أن يستغفر أو يتوب هو إبليس لعنه الله، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢٨ - ٣٣) سورة الحجر، وكان عاقبة هذا الإصرار على المعصية وعدم الرجوع عنها بالاستغفار والتوبة أن طرده الله من رحمته في الدنيا، وأحله دار نقمته وعذابه في الآخرة خالدا فيها مخلدا، وفي هذين المثليين عبرة وعظة بالغة لمن أراد أن يعتبر أو يتعظ مفادها أن من استغفر من ذنوبه وتاب فيه شبه من أبيه آدم، عليه السلام، ومن أصر واستكبر وأبى أن يستغفر أو يتوب من الذنوب فيه شبه من إبليس، لعنه الله . وحول هذا المعنى يقول ابن تيمية - رحمه الله - : قد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه، فاجتباه ربه، فتاب عليه وهداه . وعن إبليس أبي الجن - لعنه الله - أنه أصر متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه . فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبهه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم قال الله تعالى : ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ \* ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله علي المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴿ ٧٠ .

## التوحيد والاستغفار

التوحيد والاستغفار عبادتان جليلتان وقربتان عظيمتان لا تزالان بصاحبهما حتى تنزلانه أحسن المنازل وتبلغان به أعلى الدرجات، يقول ابن تيمية - رحمه الله - في بيان بعض ما لهما من فوائد وأسرار : فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين؛ تذهب الشرك كله، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلائيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه . والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الشاء قول : لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول: **أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ** <sup>١٧١</sup>هـ. ولأجل هذه العلاقة الوطيدة بينهما أتى ذكر الاستغفار مقرونا بالتوحيد في غير موضع من كتاب الله -تعالى- ومن ذلك ما جاء في سورة محمد من أمره ﷺ بالتوحيد وبالاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات، قال -تعالى- : **﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُم ﴾** (١٩) سورة محمد، وقال تعالى: **﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ... ﴾** (٣٠١) سورة هود، وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين قال تعالى: **﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾** وعن سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال : قال رسول الله ﷺ: **« دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له »** <sup>١٧٢</sup>. والحاصل أن يونس - عليه السلام - جمع في هذه الدعوة المباركة الطيبة بين التوحيد الخالص، والاستغفار التام المتمثل في الاعتراف بالذنب، وقد قيل: إن الاعتراف يمحو الافتراق <sup>١٧٣</sup>، وبذا يتهيأ المحل كأحسن ما يكون للإجابة، وليس هذا الحال مختصا

٧١ مجموع الفتاوى (٢٠٢/٢٩).

٧٢ حديث صحيح (الكلم الطيب: ١/١١٨).

٧٣ التيسير بشرح الجامع الصغير (١٢٥/٢).

نبي الله يونس - عليه السلام - بل كل من أتى به على الوجه الذي يرضي الله - تعالى - كان حريا وجديرا أنه إذا سأل الله شيئا أعطاه إياه كائنا ما كان. يقول ابن القيم -رحمه الله-: التوحيد يدخل العبد على الله والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه ا.هـ. ٧٤. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقا على قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾: بالتوحيد يقوى العبد، ويستغني. ومن سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله. وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فلا يزول فقر العبد وفاخته إلا بالتوحيد؛ فإنه لا بد له منه وإذا لم يحصل له لم يزل فقيرا محتاجا معذبا في طلب ما لم يحصل له. والله تعالى: ﴿لا يغفر أن يشرك به﴾. وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>٧٥</sup>.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر: «لشرك فيكم أخفى من ديب النمل»، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده للشرك أخفى من ديب النمل. ألا أدلك على شيء إذا قلت ذهاب عنك قليله وكثيره؟» قال: قل: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»<sup>٧٦</sup>. قال ابن تيمية - رحمه الله - معقبا -: فأمره مع الاستعاذة من الشرك المعلوم بالاستغفار، فإن الاستغفار والتوحيد بهما يكمل الدين<sup>٧٧</sup>.

فالتوحيد أوسع أبواب الحسنات الماحيات للذنوب وأكبرها، والاستغفار من أكبرها فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلب قلب، فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص.

٧٤ شفاء العليل (٢٩/٢).

٧٥ مجموع الفتاوى (٥٦/١).

٧٦ رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٠/١) وصححه الألباني.

٧٧ قاعدة في المحبة (١٠٠/١).

## الصبر والاستغفار والتسبيح

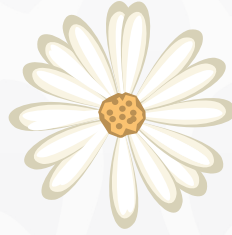
ورد ذكر الصبر في القرآن الكريم مرات عديدة تزيد على الثمانين وما ذلك إلا لشرف هذا الخلق وعلو منزلة المتحلين به الملازمين له الآتين به على الطريقة التي ترضي الله - تعالى. وذلك أن يقرن به الاحتساب أي احتساب الأجر والثواب عند الخالق. تبارك وتعالى - وسواء كان ذلك الاحتساب نتيجة صبر على الطاعة بالمداومة عليها، أو بسبب صبر عن المعصية بحبس النفس عنها وانتشالها منها، أو بسبب صبر على أقدار الله بعدم التسخط عليها أو التبرم منها، فمن استكمل لنفسه هذا الخلق استحق ما أعده الله للصابرين من أجر ومثوبة لا يعلم حسابها ولا كنهها إلا الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة الزمر، 10). ومن بين هذه المرات العديدة التي ورد فيها ذكر الصبر في القرآن الكريم وجدناه ورد مقرونا بالاستغفار وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (سورة غافر، 55). قال ابن القيم - رحمه الله - : أمر بالاستغفار والصبر لأن العبد لا بد أن يحصل له نوع تقصير وسرف يزيله الاستغفار ولا بد في انتظار الوعد من الصبر فبالاستغفار تتم الطاعة وبالصبر يتم اليقين بالوعدا هـ<sup>٧٨</sup>. ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: أمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالأستغفار الذي فيه دفع المحذور<sup>٧٩</sup> هـ. كما جاء الأمر في الآية أيضا بالتسبيح وهو تنزيه الله تعالى وتقديسه، ولعل متابعة حوار بين ابن القيم وشيخه ابن تيمية - رحمهما الله - في التفريق بين الاستغفار والتسبيح تكشف لنا عن سر اقترانه به في مواضع عدة من الكتاب والسنة، يقول رحمه الله : قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يوما : سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقياً فبالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له .

٧٨ إغاثة اللهمان(١٨٧/٢) .

٧٩ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن(٧٣٩/١) .



فقال لي رحمه الله تعالى : فكيف والثياب لا تزال دنسة <sup>٨٥</sup> . والناصح لنفسه حق النصح هو من استعمل كل هذه الفضائل ولم يهمل شيئاً منها، ولم يصرفه ازدحامها عليه في بعض الأحوال عن بعضها، ولا سبيل له إلى ذلك إلا بالإلحاح على الله تعالى أن يعينه على ذلك، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، أو أقل من ذلك . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة . رضي الله عنها . : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » <sup>٨١</sup>



٨٠ الوابل الصيب (١٢٢/١).

٨١ رواه النسائي والبخاري بإسناد صحيح والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

## الخاتمة

إخوتنا الكرام : إن أعمارنا قصيرة، وأعمالنا قليلة، وذنوبنا كثيرة، والخطب جلل، فغدا ينقطع الأمل ويدهمنا الأجل، لنجد أنفسنا بين يدي علام الغيوب، فطوبى ثم طوبى لمن بصر أمر نفسه، وأحسن رياضتها، ولقي ربا كريما جوادا رحيفا بصحيفة ملؤها توبة واستغفار، نسأل الله أن يعاملنا بعفوه ومغفرته ورحمته، إنه هو الغفور الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .





### فهرس الموضوعات

٤	المقدمة
٦	الاستغفار لغة واصطلاحا
٧	الاستغفار الذي ينفعك الله به
١٠	اعمل ما شئت
١١	الذنوب سبب الضر والاستغفار يزيله
١٤	أهمية الاستغفار وشدة حاجتنا إليه
١٦	من فوائد الاستغفار
٢٠	من استغفار النبيين عليهم الصلاة والسلام
٢٣	من صيغ استغفار النبي، صلى الله عليه وسلم
٢٧	استغفار المؤمنين
٣٠	الاستغفار هدية من الله لعباده المؤمنين
٣١	أوقات الاستغفار
٣٥	سيد الاستغفار
٣٧	من شابه أباه فما ظلم
٣٨	التوحيد والاستغفار
٤٠	الصبر والاستغفار والتسبيح
٤٢	الخاتمة